



+ آباؤنا القديسون

القديس اسبيريدون العجائبي

"عجيب هو الله في قديسيه" لأن من أحبّ الله كرّمه الله. إنّ قصد الله من تكريم قديسيه، أحبائه، هو أن يظهر للعالم أنّ الموت لا يسود عليهم حتّى ولو ماتوا أمام عيون الناس لأنهم آمنوا بالرّجاء وعاشوه بكلّ محبّة وفرح وأعلنوه للجميع. لهذا نرى أنّ بعض القديسين تفيض رفاقم طيباً كالقديس ديميتريوس، وبعضهم بقي جسده سالمًا من الفساد يفيض الطيب والعجائب كالقديس اسبيريدون. فحياة القديسين وأعمالهم وتعاليمهم ليست سوى تجسيد لفعل الرّوح القدس فيهم. لأنّ الإنسان ليس قديساً من نفسه ولكنّه يتقدّس بالمشاركة في قداسة الله، وهذا لا يتمّ بقوى الإنسان الذاتيّة بل بفعل نعمة التقديس الإلهيّة، بالرّوح القدس الساكن فيه. هذا يعني أنّ الإنسان المتكل على الله والذي يحفظ وصاياه ويحياها يتقدّس بالنعمة الساكنة فيه منذ معموديّته.

ولد القديس اسبيريدون في أواخر القرن الثالث حوالي سنة ٢٧٠م. في مدينة تريميثوس في جزيرة قبرص. كان والداه من الرّعاة البسيطين فنشا هو أيضاً مثلهم، كما أنّه حصل على نسبة بسيطة من العلم أهله لقراءة الكتب المقدّسة التي كانت رفيقته حينما كان يرعى أغنامه في الجبال، وكان لا ينقطع عن التأمّل وتلاوة المزامير. تزوّج اسبيريدون من امرأة فاضلة وعاش معها حياة الإيمان وأنجبت له ابنة سماها إيريني (سلام) ربّياها على الفضيلة والإيمان. لكنّ زوجته توفّيت بعد وقت قصير تاركة له مهمّة تربية ابنتهما الوحيدة.

عُرف اسبيريدون لدى أهل المدينة بطيبته وتواضعه ومحبّته وإيمانه الذي كان يشدّد به من كان يجدهم في الضيقات والمتاعب. وهكذا ألحّ عليه الشّعْب بأن يصبح كاهناً وقبِل السرّ وراح يبذل ما بوسعه في سبيل رعيّته وتبنيها في الإيمان. وعندما شجر كرسيّ الأسقفية في تريميثوس نادته الرّعيّة أسقفاً عليها. فتسلّم عصا الرّعاية وكان أميناً على الخراف التي سلّمت إليه. بقي اسبيريدون على بساطته وتواضعه وكان يردّد " إذا لم يكن لي التّواضع والبساطة فلست أسقفاً ولا حتّى مسيحياً". وقد جرت على يده عجائب كثيرة.

تعرّضت الكنيسة لسنوات اضطهادات عصبية أيام مكسيميانوس وذيوكليتianos ونال القديس اسبيريدون نصيبه من ذلك فُنفي إلى معسكرات الأعمال الشاقّة التي تحرّر منها بعد اعتلاء قسطنطين سدة الأباطوريّة مع جميع المساجين. عاد اسبيريدون إلى رعيّته أكثر إيماناً ومحبةً وتواضعاً.



+ آباؤنا القديسون

شارك القديس اسبيريدون في المجمع المسكوني الأول الذي انعقد في مدينة نيقية في تركيا سنة ٣٢٥م. ودحض بكلمات بسيطة هرطقة أريوس القائلة بعدم ألوهية الابن ومساواته للآب. فتأثر بتواضعه أحد الفلاسفة الذي كان يتكلم باسم الآريوسيين وأعلن إيمانه بما يقوله القديس.

من العجائب التي جرت على يده أنه عندما عاد إلى رعيته بعد انتهاء أعمال المجمع وجد أن ابنته كانت قد فارقت الحياة. وبعد عدة أيام زار امرأة تبكي قائلة أنها قد تركت وديعة ثمينة لدى ابنته قبل وفاتها. بحث الأسقف في أركان البيت دون جدوى. عندها ذهب إلى القبر حيث دفنت ابنته وسألها: إيريني، يا ابنتي، أخبريني باسم الرب يسوع أين وضعت الأمانة التي سلمت إليك؟ فجاء صوت من الداخل يدلّه على المكان حيث وجد ما كان يبحث عنه. كذلك فقد أسكت شماساً في إحدى القرى التي كان يزورها أثناء صلاة الغروب لأنه كان لصوت ذلك الشماس صوت جميل يتباهى به مفتخراً أمام المصلين. بعد الصلاة طلب منه الشعب أن يعيد الصوت للشماس الذي غدا أبكم فصلّي من أجله وعاد صوته إليه إنما دون الجمال السابق. وتوجه القديس إلى الجميع قائلاً: "عندما نصلي أو نتكلم أو نرتل لا نعمل لأنفسنا بل نبشر بالمسيح". وكثيراً ما كانت الملائكة تشارك القديس اسبيريدون بالخدمة فكانت تسمع أصوات سماوية تجيبه "ولروحك".

تاريخ رقاذه ليس معروفاً. كل ما نعرفه أنه شعر بقدوم ساعته وأخبر الجميع بذلك. تعيد له الكنيسة المقدسة في الثاني عشر من شهر كانون الأول. بقيت رفاتة المقدسة في البداية في قبرص وكانت تفيض بالمعجزات والأشفية. ونقلت بعد ذلك بواسطة أحد المؤمنين الأتقياء إلى اليونان، بسبب الاضطهادات لتُحفظ مع الكثير من بقايا القديسين من التدنيس. لم يتسرّب الفساد إلى جسد القديس اسبيريدون حتى يومنا هذا وهو موجود اليوم في كنيسة بُنيت على اسمه في جزيرة تدعى كير كيرة غرب اليونان. وما تزال تفيض الأشفية لكل من يطلب شفاعة القديس.

فبشفاعة قديسك امنحنا يا الله بساطة القلب والروح لنكون صورة إلهية، سالمة من التشويه بالافتخار الباطل الذي يؤدي بصاحبه إلى الهلاك.